

# إصلاح ذات البين في الشريعة

إعداد  
عبد الله بن أحمد السويلم

### مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله  
أما بعد. فهذه ورقات كتبتها في موضوع ((إصلاح ذات البين)) ، وهي مدعمة  
بالأدلة من الكتاب والسنة. وأقوال السلف - رحمهم الله.  
وصلى الله على محمد.

عبد الله بن أحمد السويلم  
1423/12/17هـ

## الإصلاح

لغة: مصدر أصلح يصلح وهو مأخوذ من مادة (ص ل ح) التي تدل على خلاف (الفساد) يقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً ، ويقال أيضاً: صلح (بفتح اللام) ، والمصدر صلوحٌ (لسان العرب 516/2) .

وقال ابن منظور: الإصلاح: نقيض الإفساد ، وأصلح الشيء بعد فساده :أقامه والصلح: تصالح القوم بينهم والصلح: السلم

اصطلاحاً: مأخوذ من الصلح: وهو عقد يرفع النزاع ، وهو بمعنى المصالحة وهو المسالمة خلاف المخاصمة (نصرة النعيم 364/2) .

## الأدلة الواردة في الاصطلاح

- 1- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ (1)
- 2- قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (2)
- 3- قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (3)
- 4- قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (4)
- 5- قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (5)
- 6- قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُنَّ الْحَقَّ بِرِذْوَانٍ فِي ذَلِكَ إِنِ ارْتَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (6)
- 7- قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَصِّصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (7)
- 8- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (8)
- 9- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

- (1) الحجرات 10
- (2) الحجرات 10
- (3) الأنفال 1
- (4) النساء 128
- (5) النساء 114
- (6) البقرة 228
- (7) البقرة 182
- (8) النساء 220

(1)

10- قال تعالى: ﴿وَحَزُوا سِنْتَهُ سِنْتَهُ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الظَّالِمِينَ﴾ (2)

---

(1) الأعراف 170  
(2) الشورى 40

## الأحاديث الواردة في الاصطلاح

- 1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)<sup>(1)</sup>
- 2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى: قال: صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة)<sup>(2)</sup>

---

(1) البخاري 2704 /5

(2) أبو داود 4919 /4 والترمذي 2509/4 وقال محقق جامع الأصول : هو حديث صحيح 668/6.

## الآثار عن السلف في الإصلاح

- 1 قال رجل لمحمد بن كعب القرظي: ذهبتُ للإصلاح بين قوم. قال : أدركت درجة المجاهد ، ثم قرأ ( لا خير في كثير من نجواهم) .
- 2 قال أنس بن مالك : من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة.
- 3 قال الأوزاعي : ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين ومن أصلح بين اثنين كتب الله براءة من النار.

## منزلة الإصلاح

لا شك أنها منزلة عظيمة، وهي تدل على صلاح القلب وحبه للخير والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أسرع الناس في ذلك .

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة، حتى صلى بالناس أبو بكر لما علم أن ناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم<sup>(1)</sup>.

وأجاز الإسلام الكذب في قضية الإصلاح وحرّم الصدق إذا كان للإفساد. قال صلى الله عليه وسلم: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينهي خيراً)<sup>(2)</sup>.

قال بن بابويه: إن الله عز وجل أحب الكذب في الإصلاح وأبغض الصدق في الفساد فالمصلح يسارع لرأب الصدع، وجمع الشتات وإصلاح فساد القلوب، وإزالة ما في النفوس من ضغينة وحقد، فهو شريف النفس، محب للخير، كاره للشر، محبط لكيد الخائنين يسارع للإصلاح بماله وجاهه ونفسه ووقته يبتغي بذلك وجه الله.

وشرع الإسلام الأخذ من الزكاة لقضايا الإصلاح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُؤْمُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(3)</sup> فالغارم هو الذي ينفق ماله

لِلإصلاح فيعطي من الزكاة ولو كان غنياً.

(1) البخاري 2690/5 ومسلم 421

(2) البخاري 2692/5

(3) سورة التوبة 60



## خطورة الخلاف والنزاع

- 1- معصية للرحمن قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (1) ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (2)
- 2- طاعة للشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (3)
- 3- سبب لحجب العمل الصالح أن يرفع ففي الحديث: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناً فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا) .
- 4- يجر صاحبه إلى بحور من السيئات، كالغيبة، والظلم، والسب، والشتم، خاصة إذا كان الخلاف في أمور شرعية، كالخلاف بين طلاب العلم، وربما جر بعضهم إلى مزلق خطير وهو الفرح أن يخطئ أخوه في دين الله فيفرح بهذا الخطأ ويجعله سلماً للنيل من أخيه . وما علم المسكين أن فرحه معصية، وربما جره إلى الكفر أو إلى استباحة قتل أخيه أو تبديعه أو تفسيقه، وما شبه ذلك من المصائب.
- 5- ضياع الأموال . فكم من عقار وأموال ضاعت وسلب حقوق أهلها من الأرامل واليتامى بسبب الخلاف بين الأقارب ولا شك أن كل واحد من المخالفين ظالم لنفسه وظالم لغيره.
- 6- الطلاق وشتات الأسر وحرمان الأطفال من العيش في حياة كريمة في أحضان والديهم.
- 7- يورث الضغائن والأحقاد خاصة بين الأقارب فنتسع دائرة الخلاف وينتقل من الآباء إلى الأبناء ومن أبناء الأبناء إلى آبائهم.
- 8- كم جر الخلاف إلى استحلال وإباحة الدماء والتهاون بذلك . فكم قاتل قتل أخاه بسبب الخلاف . وخسر أخاه فهو نعم الناصر وخسر آخرته . فالقاتل متوعد بالنار . قال تعالى: ﴿فَقَنَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

(1) الأعراف 56

(2) الشعراء 152

(3) المائدة

## أسباب الخلاف والنزاع

- 1- ضعف الدين. فقوة الإيمان تمنع النزاع والخلاف. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1).
- 2- الأنانية والحسد وحب الذات. قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).
- 3- حب الدنيا والركون إليها. فأكثر الخلاف والنزاع بسبب أمور دنيوية كالمال والعقار والدور والوظائف المناصب.
- 4- ضعف العقل واتباع السفهاء من النساء والأطفال. فإذا حصل نزاع بين الأطفال أو النساء جر ذلك إلى خلاف بين الرجال.
- 5- المعاصي والسيئات. فالذنوب سبب لزوال النعم وحلول النقم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (2).

(1) سورة آل عمران 103

(2) سورة طه 124

## ما موقفنا من المصلح؟

- 1 الدعاء له ؛ لأنه يسعى للخير . وهذا أقل ما تقدمه له .
- 2 أن نكون معه ونسعى في دائرة الإصلاح.
- 3 التنازل عن الحقوق . فتضع الربع والثالث أو النصف لأجل المصلح.
- 4 فتح الباب له والفرح به وسماع كلمته.
- 5 معرفة فضيلة العفو، وربما كان سبباً لدخولك الجنة. ففي الحديث يقول الله لمن عفى لأخيه: (خذ بيد أخيك فأدخله الجنة) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين)<sup>(1)</sup> قيل لبعضهم: ما أعظم المصائب عندكم ؟ قال : أن تقدر على المعروف فلا تصنعه ،حتى يفوت . وقال العباس : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله، وتصغيره، وستره.
- 6 إن استجابتنا للمصلح. إغلاق للشر وأهله الذين يحبون الفرقة والنزاع، ويتصيدون في الماء العكر.
- 7 انس الماضي . وكن منقاداً لما يقال لك ، محتسباً الأجر من الله. وتذكر نبي الله يوسف. حيث عفى عن إخوته وقال: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(2)</sup>. ونبي الله محمد صلى الله عليه وسلم قال لقريش: ( اذهبوا فأنتم الطلقاء). وقص صلى الله عليه وسلم خبر نبي من الأنبياء ضربه قومه، فأخذ يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). فاجعل هذه الحياة العطرة للأنبياء الله قدوة لك في الحياة. ونوراً تستضيء بهم.
- 8 اجتنب كل ما يدعو للنزاع والخلاف. كالسخرية والاستهزاء وبخس الحقوق . وعجل برد الحقوق لأهلها ،كقسمة التركة والميراث ،وكن صريحاً كل الصراحة مع شركائك وخصومك.
- 9 الكتابة وذلك بتوثيق وكتابة كل شي.
- 10 استجابتنا للمصلح فيه توفير للأموال التي تنفق للمحامين، وكذلك الرسوم والنفقات الأخرى، وإضاعة الأوقات في القيل والقال والذهاب للمحاكم وإشغال القضاة.

(1) الحاكم في المستدرک 576/4 والمتدرب في الترغيب 309/3

(2) سورة يوسف 92

## وقفة مع آية

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ (1).

ففي هذه الآية ذكر الله صفات المتقين وأنهم يتصفون بخمس صفات :

الأولى: الإنفاق في السراء

الثانية: الإنفاق في الضراء

الثالثة: كظم الغيظ

الرابعة: العفو عن الناس

الخامسة: الإحسان

وهذه الآية - والله أعلم - أنها من نزولها إلى اليوم لم يعمل بها أحد من الناس؛ إلا

أبو بكر - رضي الله عنه.

وتأمل الآية، ما السر في الربط بين الإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ؟!

السر - والله أعلم - أنك قد تحسن إلى أحد من الناس ويكون قريباً لك . فتنفق

عليه في السراء والضراء ثم بعد ذلك يسيء إليك . ويقابل إحسانك بالإساءة فما موقفك؟

القرآن يأمر بكظم الغيظ والعفو والإحسان.

تأمل لأبي بكر - رضي الله عنه، أنفق على مسطح في السراء والضراء. ثم بعد

ذلك نال مسطح - رضي الله عنه - من أمنا عائشة وتكلم في حادثة الإفك وخاض مع

الخائضين. ولما نزلت براءة عائشة - رضي الله عنها- من فوق سبع سماوات قال أبو

بكر رضي الله عنه: ((والله لا أنفق على مسطح بعد اليوم)) ، فكظم أبو بكر غيظه فلم

يسب ولم يشتم ولم يلعن ولم يضرب ، وإنما قال: لا أنفق على مسطح بعد اليوم. فأنزل

الله:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ

وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (1). قال أبو بكر: بلى نحب

أن يغفر الله لنا . فأعاد النفقة على مسطح رضي الله عنه.

والسؤال أخي الحبيب هل تحب أن يغفر الله لك؟

(1) سورة آل عمران 133-134

(1) سورة النور 22

الجواب : نعم أحب أن يغفر الله لي.  
إذا بادر للإصلاح مع أقاربك وسارع لإزالة ما في القلوب من الضغائن والأحقاد.

سؤال وجواب:

قد تقول أخشى أن أذهب إليهم ولا يستقبلوني أو أطردهم من عند الباب  
الجواب: هذا خير لك، وهو دليل على زكاة قلبك وصلاح نفسك. والذي زكاه هو الله .  
قال تعالى ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (2)

وإن قيل: ارجع فحاول مرة أخرى، وثالثة، ورابعة، حتى يفتح لك الباب  
وقد تقول: أحب الإصلاح، ولكن القضية في أولادي وزوجتي وإخواني. إذا  
أردت ذلك قالوا أنت تذهب للسلام عليهم. لا انتبه - الحق لك - المفروض يحب عليهم  
أن يأتوا إليك . وذهابك إليهم يقلل من قدرك ومكانتك ويفتح باب الجرة عليك.  
الجواب على ذلك في القرآن الكريم.

حيث حذر القرآن الكريم من هذا الصنف من الناس . قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلِافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (3) .

فالذي يمنع الخير ويسعى بالنميمة ويحذر من الإصلاح، كن على حذر منه.

## شروط المصلح

- 1- أن يقصد بعمله وجه الله .
  - 2- أن يكون عالماً . حتى لا يظلم في صلحه .
  - 3- أن يكون عدلاً .
- قال ابن القيم - رحمه الله : فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يقصد به وجه الله . ورضى الخصمين فهذا أعدل الصلح وأحقه ، وهو يعتمد على العلم والعدل فيكون المصلح، عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم.
- وشروط الصلح :
- أن لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً . فلا يجوز الصلح على أمر حرمه الله أو نهى عنه أو إسقاط حد من حدود الله .
- ولهذا الصلح الذي يقع بين القبائل يجب عليهم أن يعرضوه على الحاكم الشرعي فإن أقره عملوا به وإن أنكره عليهم يجب عليهم أن لا يعملوا به.

## التوجيهات والاقتراحات

أرى أنه من الضروري وجود دوائر للإصلاح وتكون هذه الدوائر قبل وقوع النزاع والخصومة والترافع للقضاء.  
قال عمر - رضي الله عنه - لأبي موسى الأشعري: "رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن".  
فحبذا يكون مكاتب للإصلاح في الشرطة والمرور، ومحكمة الضمان والأنكحة، ووزارة العدل، وديوان المظالم، حيث يمر على هذه المكاتب قبل الوصول للقضاء. وكذلك في الأحياء السكنية تكون ضمن هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أو مكاتب مستقلة يرجع الناس إليها عند بدء الخصومة والنزاع.